

كتاب رياض الادب

## رياض الادب

بالتفصيل

ابراهيم زهدى

سوف لا ترى الناس نجما يسير بدرا

الانجماك في سماء الادب بمصر

عبد الحميد جلال

الطبعة الاولى

(كل حق محفوظ للمؤلف)

# أهداء الكتاب

والدي العزيز

أهدي الي مقامك السامي كتابي الذي سطرته بيدي  
ولطالما تأقت نفسي لاظهار ما غرسته يداك الكريمتان  
وهاأنذا اليوم أبرهن علي ان ما غرسته قد أينعت ثماره وفاح  
أريجيه - ولي الشرف بأن تكون هديتي موضع قبول  
سيدي الوالد ولو أنها لا تليق بشخصه الكريم  
ولدمكم

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل القلم بابل الروض وجليس الأُتس ولسان  
الأديب وترجمان الفكر وحياة الفرد والجمع والصلوة  
والسلام على سيد الانام محمد وعلى آله وصحبه وسلم (وامد)  
أزف الى كل محب للمسلم تلك المقالات التي هي نتاج

ذلك ألقم العاجز لما فيها من عبر وعظات

والله أسأل أن ينفع بها أبناء الوطن الاعزاء

المؤلف

ابراهيم زهدى

ابريل سنة ٩١٧

## « الوقت »

( الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك )

« حكمة عربية »

الوقت كنز سريع النفاذ تسامه الكل وهو يفيض  
على الكل والكل ينفقون منه . غير صراعين جانب الاقتصاد  
فلا حريص عليه ولا ضنين به بل هو طريق الحياة نسير فيه  
قاطعين مسافات الأيام ومراحل العمر حتى اذا انقضى  
الزمان وقربنا من نقطة الانتهاء ندمننا آسفين ورمنا للرجوع  
سبيلا ولكن هيات فقد كان ذلك مستحيلا .

بل هو في الحقيقة عين الوجود ومظهر الحياة لكل

موجود والكثيرون لا يشعرون

كلنا نعلم أن الوقت ثمين ولكننا ننفقه بأيدي التعمد  
ونفرض فيه كل تفریط بل نعرضه للفقدان ونبيعه بأبخس  
الائمان أو نبحت عمن يضيعه لنا حتى غدا ذلك من أهم شواغل  
حياتنا فاذا ظفرنا به كنا فرحين . كلنا نقدر الدراهم حق  
قدرها ونحزنها ونضن بها ضنا بليغا غير اننا لسوء الحظ نستحو  
بوقت طويل نقضيه مع الغير أولاً أجل الغير ونفادى به جزافا

أو نكون شاكرين لمن يسلبنا وقتنا أو يجعلنا ننفقه ونحن  
غير شاعرين كأن الوقت حمل أثقل كاهل الجميع فهم ينفون  
منه خلاصاً ويتفنون متسابقين لايجاد الأسباب التي تؤدي  
إلى افئائه وما هذا إلا من ضعف الإنسان

تمر الأيام وتتوارى السنون وراء حجاب المصور ولا  
يبقى منها في مخيلتنا إلا ذكر أهم الحوادث التي صرت علينا بها  
وهو ذكرك ضعيف مأثور كذكرك باقي الحوادث التي تقرأها  
في عالم التاريخ ونحن لا نعرف من سابق أيام حياتنا منذ نشأتنا  
في عالم الوجود إلا اللحظة التي نحن فيها وأما ماضى من العمر  
فقد غاب في عالم الأجيال ولم يبق له إلا تأثير ضعيف في حالة  
كل فرد منا . نذكر ونفخر أنه كان ثمة ما يوجب الذكر  
والافتخار أن كل فرد يأتي إلى مسرح الوجود ليمثل دوراً  
ثم يمضي ليأتي غيره وهكذا الانزال متعاقبين ولا شك أن  
شأن كل يقاس بالدور الذي يمثله سواء أكان في العلم أم في  
السياسة أم في الشجاعة أم في غيرها وفي نفس هذا المسرح  
ترى صور الأمم المتقدمة والشعوب الغابرة ورجال العالم  
المعظم ومشهورية الأولين إلى أن يأتي يوم لا نكون به

من المشايخ لأن سرعة عظيمة تدفعنا دوماً إلى نقطة الانتهاء  
فلا تزال نسير مدفوعين . ومع هذا فنحن نبدد ما يفيض  
لدينا من الوقت ونضيع فرص الزمان عبثاً بل تقضى الأيام  
واحداً بعد آخر أملاً بمجيء الغد وما يليه كأننا نتنظر تمضية  
الأيام فرجاً وما في ذلك من فرج بل هو العمر يمضي ونحن  
غير منتبهين مما يدل على أن الناس تأسأوا استعمال الوقت  
ولم يقدره قدره وما كانوا لعمرى بمنصفين

نرى كثيرين يقضون الاوقات في اللهو والمسرات  
فيبهدون النفس لا يجاد ساعة بالطرب يحونها وفرصة  
للذات ينتموها حاسبين أن سعادة الحياة قد انحصرت بهذه  
الغاية وآخرون يقضون الأيام بين المشاغل وسائر الأمور  
التي يقضى بها الوقت حامدين إلى قتل الاوقات عبثاً وآخرون  
ما عرفوا قط للوقت قيمة فأفنوه وبددوه بغير هذه الأسباب  
والكل قد اشتركوا بالمخالفة ضد الوقت كأنه عدو عمومي  
للجميع وما هو لعمرى عدو بل هو الصديق الأمين الذي  
بأحرازه نحرز المعرفة والعقل وحسن الذكر ونحن دوماً نعن  
الأيام قبل مجيئها فاذا جاءت ذمناها وان سفت أسفنا عليها

قال وقت معزز لدينا في الاستقبال مذموم في الحاضر مأسوف  
عليه في الماضي فأعجبوا لطيب مذموم

أشهر رجال العالم الذين اشتهروا في عالم التاريخ الماضي  
والحاضر بالعلم والعرفان والفضل والفخار والشجاعة والسياسة  
والصناعة والاختراع هم الذين عرفوا قيمة وقتهم فلا أضاعوا  
منه لحظة عبثاً ولا تركوا منه دقيقة تذهب سدى وهكذا  
تقدموا والناس واقفون وساروا والآخرون متأخرون

فنبه الذين هم في رقاد الغفلة وأنذر الذين ينشوة الاهیال  
والسكون أن يهبوا لاغتنام الوقت واكتساب فرص الزمان  
فهو عزيز اذا مضى لا يعود وان أبلى بالحرمان لا يجود بل  
كل دقيقة تمر منه تنقص من العمر المحدود

« الأمل »

على الرجاء يمشي الناس كلهم

والدهر كالبحر والآمال كالسفن

يحدث للانسان أن يصاب بنكبة عظی فيقع في یأس

قاتل يضيق الصدر ويظلم الفكر ويمی البصيرة ويوهن

المزیة وينهب بالشجاعة ويطمس نور الأمل وينهق الروح

فيحك المرء وهو على هذه الحال بأن لا علاج لمصيبته ولا سبيل  
الى تلافى المكروة . فيقعد عن السعي في اصلاح ما تلف  
واستعاضة ما فقد فتمر الايام فالأسيح فالشهور فالسنون  
فيمضي العمر دون أن يفيق من سنته فيكون الذنب في  
نكبته للقضاء والقدر ولكن الذنب له وحشة في تموده  
واستسلامه . إذ أنه لو آمن في أمره النظر لتحقق ان لا فائدة  
ترجي من اليأس وأن استسلامة عقيم سقيم وان الانتحار  
خير من يأس يلازمه خطوة حتى يوصله الى القبر فالأجدد  
بالماتل اذا اشتملت عليه مصيبة أن يملك نفسه ولا يدفع  
مع تأثير انفعاله . ولا يستسلم لعوامل ضعفه ولا يجسم يأسه  
بل يستمد من الضعف قوة ومن المصيبة حيلة ومن القنوط  
أمل ومن الوهن عزيمة ومن الموت حياة وبدلاً من أن يقضي  
أيامه قعيداً كسلاناً نادياً حظه شاكياً من سوء طالعها ناقماً على  
دهره صاخباً على الليالي نائحاً على الفوالى والآلى ذا كراً  
ليس له الاسطع ونهاره الاشرق . واثماً تلاده وطارفه با كياً  
صامته وناطقه وعقاره فليبادر الى العمل بجد واجتهاد وليسع  
الى الفائدة فتمضي الايام يتبعها الشهور وتلوها السنون



فيشعر ذات يوم إلا أنه مالك أمره وقد تحقق بمض أماله  
الذي استحال تحقيقه عند وقوع المصيبة  
« الحياة »

تعب كلها الحياة فما أعجب الأمن راغب في ازدياد  
« أبي العلاء المرسي »

تعمساً لك أيتها المملوك الفاجرة . تريدن سلب عفا في وأنا  
أبن الطهارة ووليد الشرف . تريدن أن أخضع لجلالك  
وأنظر لبهائك . لافلحتف أقرب لرأسى من أن يمس جلالك  
تاجها المعقود . تريدن أن أتجرع شرابك في كأس رسبت  
في قاعها الاقدار والادران فلا أجرع منه جرعة الا وأمجها  
الا أنك أيتها الحياة مشوهة الأديم كالحة اللون في عيني .  
ماذا عساني أعشق من محاسنك وأذكر من حسناتك ( وكلها  
سيئات ) أتظنين انى أبش لك وانت عابسة وأرضاك وأنت  
لست حقيقة بالرضا . أيتها الحياة ذقت من صرارتك أقداها  
وتوسدت لأجلك شوك القتاد وتلحفت برداء هو ظاملك  
وعنادك . سلبتي سلاحا كنت ألقى به عرادي الدهر وأرد  
به غوائل الايام

فصرت أهيم بالغاب والربي بين سبع عقور وليت  
محصور . تركتني بين المغاور والا كام بين وحوش قاسية  
حيث لا رحمة ولا ديار . اليك عني يا شقاء الحكاء وهنا .  
الأغبياء فأنا يمدك عن جلالك سميدي لبعيدك وجفائك .  
ترومين قتلي بسمك الناقع وتزعمين انه رضا يامن الطلاب  
والخندريس براء منه براءة الذئب عن دم ابن يعقوب .  
علمتني سويحاتك وقد لحها في بلبل صفائك بل يوم شقائك  
انك خداعة خلافة ما كرت فاجرة لا يؤمن ابتسامك ولا  
نفر نظراتك

مهلا فسوف ترين اني لا أنضع لجورك وانى لم أكن  
ذلك الخطاب الذي تمنى الموت فما ان تمثل له شبعه حتى ندم  
وتقبض وادعى انه يطلبه الا يستمين به على رفع ابالته .  
لا وحق الله ما أنا ذلك الخطاب وانك وان كنت كأساً من  
العالم فالتبر كأس من الشهد

( انتحار فتاة لا رغام والدها ايها على الزواج )

سرى تيار الانتحار في الناس مريان الماء في المود و صار  
ذريعة يتخلص بها من لم يرغب في الحياة . فلجأ اليه الرجل

والمرأة سواسية حتى عم شره وفشى خطبه وأصبح أمر أعاديا  
يقدم عليه الصغير والكبير إلا يبس ما يفعلون . ولو عقوا  
لعادوا أنهم لا يفعلون إلا منكراً من العمل سودت به  
صفحاتهم وشوهت به سيرهم ولكن أكثرهم لا يفقهون  
رحمك وبى باناس قد ضلوا وعن الرشيد قد نأوا فعمدوا الى  
ما حرمته وفي كتابك المقدس ذكرته

ألم يدر بخلد هم ان جناية المرء على نفسه أكبر انما وأعظم  
ذنبا من جناية الغير عليه . وهنا لو تعقبت تلك العذراء التي  
أرغمها والدها أن تقترن بمن لا تهوى ظانا بأنها تشاطر اتراحه  
وتضاعف افراحه وولجأت الى طريقة أشرف من الانتحار  
لكان لها في ميدان الحياة نصير ومعين يأخذ بيدها ويصمد  
رأيها اذ الشريعة السمحة لا ترغم على الزواج ولا تجبر على  
الاقتران بل جعلت ذلك أمراً مفوضاً لرغبة المتزوجين

فاقدام هذه الفتاة وانتحارها لم يجيدها شيئاً مذكورا  
بل ذهبت بحياتها التي دنستها بفعلتها الشنعاء هذه فبئس  
ما فعلت ولا حبذا ما صنعت - غير ان ذلك لم يكن شيئاً  
مذكوراً بجانب فعل أبيها اذا هو مطلق الصراح في أعماله

وعداواته وهي مقيدة بقيود معنوية فهي على كل حال لها  
بعض المنزلة ان لم يكن كاه

وليت شعري ما الذي حمل ذلك النشوم على تشبثه  
برأيه بعد ما رأى اعراض ابنته وقلدة كبده أن يلقى بها بين  
يدي من لا تهوى - أكان لكثرة ماله أم لوجاهة قدره  
الاهم لا هذا ولا ذاك غرض العذارى ومطالب النساء

أعزب عن باله وغرب عن ذهنه أن الزواج ان لم يكن  
حبه متيناً وأواصر الزوجية وثيقة وقاعدته الحب لا يلبث أن  
تتقوض أركانه وينهد كيانه وتهدى جذرانه فيجر الى شقاء

العائلات وتمس الأطفال وينضى الى الانفصال العاجل  
أظن ذلك الجاهل الغرأن القلوب أوعية تملك وتملأ بما يجب  
المرء - ظن فاسد وزعم كاذب فالقلوب لا تملك قسراً والنفوس  
لا تقاد قهراً فهي ليست مما يتأثر بمؤثرات الانسان وإنما  
تتأثر بعوامل الطبيعة والميل الفطري التي جبلت عليه القلوب  
واهالك أيها الأب القاسي أترغم فتاة في ريمان شبابها  
ظهرت في الوجود وكلها آمال بمشاركة زوج تميل اليه  
ويميل اليها ليكون ذلك أدعي الى الألفة والمحبة لأن كلا منهما

شريك الآخر في الباساء والضراء بمن لا ترى في وجهه  
الا شرأ ويمثل لها شخصه بأقبح صورة. أين تنجو من عقاب  
الجبار وأين تفر من ربقة الحق ومن غضب البرية التي ترى  
أعمالك سبة لك لا تمحي حتى يعود كل مستحيل ممكناً  
ورحمة عليك أيتها المسكينة التي ذهبت ضحية الطاعة  
والخضوع وشهيدة الوفاء. قتلت دون أن تقترن ذنباً أو  
تجنى اثماً وكان قاتلك والدك الظالم

رحلت أيتها الفادة الى عالم الأبدية طاهرة النفس تقية  
القلب أقترن الموت بك فسلام أيتها الراحلة الى دار الخلود  
« الحب »

الحب أساس الممران وواسطة عقد الاجتماع وخالصة  
النواميس الأدبية وأكسير الفضائل البشرية وهو مذهب  
النفوس وصرقي المقول ومحبي العواطف ولولاه لكان  
الانسان وحشاً ضارياً ولا نقصمت عرى الاجتماع فبطلت  
العائلات وبادت الأمم وهلك نوع الانسان  
— الحب ربيع الحياة وآلة العيش ورباط الانسانية  
وأصل الخليفة — بدونه الحياة حمل ثقيل وبه السعادة المبتغاة

أن في خلقة آدم مظهر آمن مظاهر الحب تتجلى أمام البصائر  
النقادة بأجلى المظاهر . ان الله سبحانه وتعالى نفخ في التراب  
من روحه فخلق آدم ثم خلق حواء من ضامه اليسرى بنفخة  
من ذلك البوق الالهي الا وهو الحب . هل وجد انسان  
لا أمل له — الأمل هو ريب الحب وجزء من أجزائه —  
— الحب هو تلك الحرا الالهية والمصير الرباني الذي تنفجر  
ينابيعه من نفوس تلك الخناوقات — هو ذلك الدخان الطاهر  
المادة الذكي الرائحة الذي يتصاعد من بخار الزفرات والشهدات  
الحب هو ذلك القمر المنير الذي يضيء القلوب وي طرح  
عليها أشعة من الهيبة والمظمة هو ذلك الرباط الوثيق بين  
الحب ومحببه لولاه ما كان التناسل الذي هو علة بقاء العالم  
هو ذلك النسيم العليل الذي يهب على القلوب فيرطبها  
ويتعشها بذكرى الآمال

الحب مهده جليل تتلقى فيه الناس دروساً في التربية  
والاخلاق فما أجراها من دروس تتخرج فيها الأنفس وتتناجي  
فيها القلوب وتحي وتنهش من عثارها . فأنعمه وما أشقاه وما  
أحلاه وما أفساه . مسكين من أصابه سبهمة وتمكن من

فؤاده الحب. ولقد علته السماء وبحشوا فيه فلم يهتدوا الى تحليل  
يرتاح اليه العقل وفي عرفه انه سيال من السيالات العصبية  
أشبه بشيء بالمغناطيسية الحيوية أوله نوع من الجاذبية التي  
تربط الأجرام السماوية بعضها ببعض وعليها تتوقف الموازنة  
بين السماء والأرض ونسبة الحب الى جسم العمران كنسبة  
الجاذبية الى جسم الكون

— الحب هو ميل نفسياني يحمل المرء على تفضيل شخص  
على سائر الناس وذلك الميل نتيجة احساسات داخلية تجذبه  
نحو الآخر —

الحب الذي أنشده هو الطاهر النقي المادة الذكي  
الرائحة الخطيب الابكم هو ذلك النور الالهي الذي ينبعث  
من نور القلب فيضي المحيا ويموج في العين — ذلك الدخان  
الذي يخفي على ذوى البصائر المريضة والنفوس الشهوانية  
والعقول التي لم تخمر بعد لترسو على شاطئ الانتصار لذلك  
الطائر السماوي الا وهو الحب —

قلما يوجد انسان بدون أن يحب الا اذا كان وحشاً  
ضارياً «ولا أظال الوحش الضاري الا انه يحب» قد قد قلبه

من حجر صلب لا تؤثر فيه مناهل العبرات ومؤاسات الدهر  
لمرى ان هذا ليس بأنسان وحرى به أن يعيش في وسط  
أجعة ترتى فيها الابل ولكن أجل الابل صنف من الحيوان  
رقيق الشمور يتأثر بأقل مؤثر فهو يتيه عجبا ويمثل طربا عند  
ما يترحم بنعمة عذبة تحل في قلبه محل الروح في الجسد  
فكيف بالانسان وقد رأى ذلك الشمور الحى يتمثل بأجلى  
الصور في هذا الحيوان الأبيم

فالجب هو حياة النفوس ومزقي الشمور ومملى على الوجدانات  
أحداثا طيبة لولاه لا ترض النسل وباد على بكرة أبيه

### ﴿ الحرب ﴾

الحرب رسول الفناء ترسله المطامع الأشمبية على العالم  
فينشر دعوته دعوة الدمار والخراب ويبرز هيئته وسيطرته  
فترتعد منه الوحوش في صراخها وتبهم على وجهها فارة من  
هوله ويستولى على العالم الجزع والمهلع فما أسوأه رسولا وما  
أشأمه داعيا

الحرب كلمة سهلة المنطق كبيرة المعنى عظيمة التبعة  
تقلب العالم الأمن في سر به المطمئن في مسكنه وأسا على عقب



فتقوض العروش وتهدم ما أثر السالفين والحاضرين وتجدد  
الحسرات . تبيد الحرث والنسل وتهلك الفرد والجمع تبعث  
بالقيامه وتذمر بالساعة ساعة يشيب لها الوليد في مهده  
وتقصم ظهر الشيخ في مسكنه فما أعظم هولها وأفظع ضررها  
تقاد الرجال الى ساحات القتال وميادينها فهناك تباع الارواح  
بيع السلع ولا مستول عنها أمام الله والناس الا أولئك الذين  
اضرموا نارها وأذكروا الهيبا طمعاً في الاستيلاء على شعب من  
الشعوب المستضعفة ليستغلوا أرضه تحت لوائهم وليستعبدوا  
أهله وقد خلقهم الله أحراراً فقبحاً ثم قبحاً لأمثال هؤلاء .  
يرسل ملك الموت أعوانه وجنوده ليحصدوا ثمراتها وهي تلك  
الانفس البريئة التي سيقنت حيث حماها وقبرها وقد خافوا  
وراءهم بنبيهم وذويهم يبكونهم بكاءً صراً ويندبونهم بدموع  
يرق لها الجهاد فوا حسرة على رجال هم زهرة الأمة وعليهم  
مجدها وانحطاطها يموتون في ساحة الحرب ولا أخال فرداً  
من الأفراد مهما كان قسطه من المدينة يود الحرب أو يرغب  
فيها اللهم الا اذا كان للذود عن وطنه الذي استظل بساواة أفئاته  
وتفدى من تديبه الفضيلة والهدى أو عن الدين أو عن سماع

يحاول مناظراته ومشاكسته أو باغ يحاول افساده فان الاحجام  
في مثل هذه الحيل يعد من الجهل وقلة الرأي بمكان عظيم  
فواها للحرب وتبالمها فيكم نسوة أصبحن أيامي وبنين وبنات  
نشر أليتم عليهم لباساً من حديد وعم البؤس نوا صبيهم وتألمهم  
من العذاب ما تنفتت له الحاجر الجامود وتدمع له العيون ولكم  
سمعنا من الفظائع المروعة التي تجعل الأصم ينطق والابله  
يخطب واللبيب يتعلم - فتقف الحركات وتبطل المشروعات  
وتكتسد التجارات وتودي بالعاصر والزاهر ولو علم الناس  
كم من العلماء والنوابغ ما توافى جوفا وماتت معهم علومهم  
وسبقتهم الدنية الى قبورهم لتمنوا أن يكون بينهم وبين الحرب  
سد كسد ذي القرنين وان كان أنى لهم ذلك والناس جبالوا  
على أكل بعضهم بعضا كما يأكل كبير السمك صغيرها فنحننا  
اللهم من مصائب الزمن وهوله ونجنا من القوم الظالمين

« المدينة في ليلة »

« أو صحيفة من الحياة »

« بقلم حضرة صديقنا الأديب عبد الحميد أفندي جلال »  
« خلقت ولوعا بالشمس . يستمد منها جسمي دفناً »

وتستقى عيشاي من أشعتها ضياء . أكاد من غرام بها أسجد  
لها . لولا ان الدين عند الله الاسلام .  
أحبها عند الشروق . ومحياها من الحياء ندى . بسامة  
للعالمين والعالمون في اكتاب . كالحسنة تضحك من صرعى  
الغرام وأحبها في المعجزة قرصاً من لهب . يرسل خيوط  
النار . ومن عجب أن النسيم في النار . وأحبها في الاصيل .  
وهي للأفق تميل . خود تعطف على وامق . سمعت منه  
أنين العاشق . وأحبها عند الغروب . تفارقنا ليلا وفي الصباح  
تؤوب نال منها أعياء الرحيل ما بين الشرق والغرب وهي تسترد  
سناها عن نينا . فتمسى لذلك البعاد . في رداء من سواد  
ولو استطعت من ولهي . لصعدت اليها . واتخذت مأوى لديها .  
أو حرمت الناس أن يستضيئوا بأشعتها ويستدفئوا حرارتها .  
وما أحلى الأثره في الحب . فانها أمنية لكل قلب  
غربت عني في يوم شمسي . وكأنما غربت مني نفسي  
وألقي الليل في روعي ما يلقى الزنجي في صدور الاطفال حين  
يطاع عليهم بجيا كالنجم رعب يعقد بهم حتى عن أيعاء البنان  
ويفلق أفواههم حتى عن همس الكلام ومهما رجع الدجى

السما بلا لئ النجوم . وبدد في أرجائها العقد الثير . فاني  
أخشي الليل غشية الصعلوك للأمبر  
نباي مضجعي . وهل ينام الفرق ؟ ونبتني حجري . كالجنة  
لفظت آدم والأسى بين جنبي " نار لها ضرام - وما حال من  
فارق من يهواه ؟ انه حال المسوع حتى يعاجله ردها  
وأزمت أن أنفت من بين يدي الظلام وهو أيان يمت  
مُدركي . فنارقت كسر بيتي وطفقت أهول في منعطفات  
ودروب . كأنها لضيقها سبيل اليأس يسعي الى آمله .  
والدور على الجانبين تكاد تحنو على بعضها متداغية كحال  
قطانها . متماسكة الجوانب كصف من كهول يشدون أزر  
بعض . فبينما احدها يتراجع حياء اذا با آخر يتقام سفاهة .  
وخيل لي أني زاحف بقرية التمل لولا مصابيح مضطربة  
الضوء . كعزم الرجل الخوار . فقلت لنفسي « ما أظلم الدنيا  
لبنيها هؤلاء مسرونا . أموات في ثياب أحياء . يروضون  
أنفسهم من اليوم على وحشة القبور ويمشون في مواطنهم  
صرعى الأوباء العفنة في المستشفيات . فمن أين يتسرب اليهم  
صفاء العيش وان أبواب ديارهم لتضيق دون ولوجه « ولبثت

أفكر وماذا عسى يجلبهم تفكري فإذا بشبح يتهادى من  
العين الى الشمال يقديين سر تجفان فلما دنوت منه أتبينه  
الليتة رجملا على حنجر الكهولة واشى القوى رث اللبس  
أشمت أنور قريح البانين ، منهرت الشدقين وقد أسند  
خده المتجدد على كتفه المنخزل وطالت إحدى يديه وقصرت  
الأخرى فبرزت أصابع قدميه من حذائه كما تظهر رؤوس  
الآفاحى من أفاسيبيها وهو يقذف من فيه كلمات مفككة  
الأوصال متباينة المنى ، تارة يهوس بأخفت من صوت  
المختصر على فراشه وماورا يصرخ بزئير الأسد فى أجمته  
ومرة يشتد حماسة من أفة كالبان اذا ماغلا بنفسه وأخرى  
يبكى يدموع غير حارة من عينين رانت عليهما غشاوة  
وعجيب أنه وهو فى غشيان الصبباء وقفت به قدماه أمام  
وصيد نحر السوس أنشابه لايسر طارقا ولا يدفع سارقا وكان  
زوجته قد اعتادت منه أن يجيئها سليب العقل والدين .  
فأمست خلف الباب فى انتظاره فلم يجشم نفسه الآفة منه  
عناء الطرق حتى توارى ، فحدثت نفسى أوهى حدثتى وانها  
لأمارة بالسوء أن أنظر من كوة صغيرة كيف تستأهل

هذه القرينة المنكوبة مثل هذا القرن السيء وكيف تجزل  
وفادته وتحسن وفادته كما يفعل به الظمار غير أنني لم أسمع  
الرجل إلا صخباً سبباً كأنه يجرب معها الجراءة أو يظهر  
أمامها بمظهر الكمي الصنديد . وكأن بينه وبين المهدي جاذبية  
فما عم أن ارتدى عليه كأنه جدار يهد وكان الكرى إلى عينيه  
أسبق من قدميه إلى الحانة . فقلت نم أيها الحيوان مخموراً  
يمتلك تموت البلاد دماراً وثبوراً . نم لا أبصرت عينك ضوءاً

ولا نوراً فما لمزربل لا يد عينه إليك فتستريح وتريح  
وسرت قليلاً حتى طرقت مسمي أنه تقطر أسى  
انبعثت من قلب ذاب ضنى . هذا عليل أبدله الداء من صحته  
سقا ومن راحته ألما يبكي توجماً تكاد ثيابه عليه أن تكون  
كفنا وكأنه على الفراش خيالاً وليس بدنا . وحوله أم أحق  
بالداء منه تبكي في صمت وتشكو في صمت . وفناة وفتي  
لا يفقهان مما بالمكان شيئاً ثم سمعت هذه العجوز تقول .  
« ولدي وفادة كبدى عش لبنيك ودعنى أموت . من لي  
بكنوز الأرض أهياً لمن يشفيك » . هذا والدمع من عينها  
يسبح وابنها في نزعه لا يبى . وكان الشقاء على محتم في حل

وترحال فشهدت مصرع الرجل ولم أملك ما أجود به غير  
قطرة من الدمع هي كل ثروة البائس ومناجاة هذه الروح  
الهالمة « أيها الشاب الراحل لقد استرحت وستشقى بعدك  
ذروك » وقد ذكرت قول من قال

مقابر من ماتوا مواطن راحة فلاتك ائراهاالكيين جزوعا  
فان تبك ميتاضمه القبر فادخر ليت على قيد الحياة دموعا  
وشاءت في الليل الأقدار . أن أرى ماأراه من النقائض  
في النهار . اذا ألفت عن كذب محفل عرس أهله بالعروسين  
في جنل : فأيقنت أن اليلة قد قضى على أحدنا أن يئدشبابه  
بيديه بل قضى عليه أن يسير الى جهنم الدنيا بقدميه . كذى  
جنة يساق الى الأعدام وهو ضاحك . وأعجب ما في أبناء  
آدم أنهم يهلاون ويكبرون لأن رجلا وامرأة سيقضيان  
لباتهما من الشهوة وقلت لنفسي وأنا كاد أسخر منهم « من  
الشهوة خلقنا وللشهوات تفرح » . ثم خرج الجمع زرافات  
ووحدا نا يتقدمهم حملة المشاعل كأنهم يرمزون الى مسيلاقيه  
الزوج من شقاء كالسعيد وهو واسططتهم يتبختر في ثوب  
قشيب جديد يستبدله في الصباح بأخر خاق بالى . كالمثل

في الليل من الملوك وفي النهار صغارك . وبين جموعهم أفراد  
تنشد وتتفنى بنفحات لا اتصال بينها تيمث ازعاجا وتجلب  
إفلاجا. وما علمنا أن على مقربة من دارهم روح فاضت موجودة  
على الوجود وحقناً على العيش الاقليات كعو العرس إن صبح  
أن تهشوا به والأقاني أسأل السلامة منه لمن لم يبلغ بابه بعد  
وكانت حلقة الظلام قد اشتدت كأنه فحم مذاب  
يسيل أو سيل من القارطام والسحب قد تلبدت على صفحة  
السماء كالرآة علاها العسداً . فكأنني جلبت لنفسي الضر من  
حيث أردت بها خيرا

رب ساع مبصر في سعيه أخطأ التوفيق فيما طلبا

فسرت على غير هدى وظلام النفس كظلام الليل وإذا  
بامرأة تتلوى كالحرباء وتغيب كالبروم ونسوة حولها يتكلمن  
بأصوات منكرة لا تقبلها الأذن ولا يتفهمها النهن .  
وحاولت أن أفقه حالهم وأقف على حقيقة أمرهم فسييت لولا  
صراخ وليد حديث عهد بالحياة الدنيا قدفت به بطن المرأة  
الى حيث يجرع العذاب كؤوساً شقي فما تمالكنت نفسي  
أن ضحككت وقات عجباً . « لقد زدت النساء في الدنيا أيها



الوايد عددًا صرحاً بك لملك ستمت الإقامة في مستقر  
الدعة وآنت في نفسك جلدًا على أوصاب الحياة. أهلابك  
وساخراتج الشهوة وثمره الزواج لا تبك بل أدخر دموعك  
الغدقة تلمسها فتجد عينيك ناضبة ان عسيرتك اليوم  
تبسم أبتها لا بعفمك لأنك ستحمل عنها بعض ما تعاني  
وهي تقطع مراحل العمر وأنت تبكي لأنك ولدت للعناء  
ثم الى الفناء صيرك. فكن على الميش مجيرا كما ولدت مجيرا  
خلفت الوالدة تقر عينها بمثال زوجها تراه عنه بدلا اذا غاب  
عنها. وبعد خطوات معدودات طرق مسمى آهات وانات  
فاهتديت بنور مشيمت ضئيل كبصيص الامل عند من حفته  
الفضل الى نافذة لا تملو عن الارض كثيرا. والنفس تواقه  
الى استطلاع الخفايا واستكشاف الخبايا فعمدت الى النافذة  
لارى ما بالمكان فالفيت امرأة تبكي زادها البكاء جمالا.  
وحياها رجل نصف لا شباب ولا هرم. يترقق في حياه  
كباوة النمل وحراليها غلامان زادها الفقر حسنا فسالت  
نفسى ماذا صبي يبكيها؟ أهى دموع صدق أم الخداع  
يرسلها وكثيرا ما اقتدرت المرأة على تغير عواطفها حتى ظننا

البدعة منها سنة سنة والوهم حقيقة . وما كان عظم الدهشة  
التي ملكت على مشاعري حين نصبت من ما آقيها الدموع  
بغته وتمثلت واقفة كالمهارة التابها ذعر وقالت وصوتها يتهدج  
فخسباً وكأن كلماتها شمالات لطيب .

« يا زوجي وانه نداء لو عانت عظيم ما أنت قمين به  
ولست له أئلا . أنظر لنا نحن على الطوى مسنطوى ليلنا .  
يكاد يؤدي في وبولديك انخواء الى الفناء كأننا أذنبنا قبل  
الوجود وكان عقابنا على يديك . واذا كنت ولدت أغلظ  
أكبداً من الأبل فلا تشفق علينا . فاني أشفق عليك قبل  
اشفاقى على نفسى لأنك تفيض بدنائك وتسرف في ذكائك  
وتستخو بشبابك بين اكداس الاوراق لتحصل بعد الفناء  
على الارزاق ثم لا يجن بك الليل حتى تجلس على مائدة الميسر  
تبهر في دقائق ما جمعه في أيام وتبيع صحتك بالاستقام  
ولا يخطر بخلدك زوجة ولا غلام . كفاك خسة أنك تحزن  
اذا ربح سواك وتُسّر بخسارته مثلك مثل حامل الموتى لا يملأ  
الجذل قلوبهم ولا الدنانير جيوبهم الا حين يموت فقيد ولو  
كان عائلا . فان عاشت الناس أصحاء باتوا هم معدمين تمساء

ولو أيقنت أن انطلاقي عنك بالطلاق يحو منك داء القمار  
ويبعث الرحمة من فؤادك علي ولديك لطالبتك به وأرغمتك  
عليه ولكني ان تركتهما فأنت تاركهما مثلي وليس لهما  
الا الله ولياً ونصيراً

ثم صممت هنيهة تستجمع قواها التي بددها الاسبى واحتدمت  
في كلماتها لتسال منه وقالت «أترضى وأنت بعلي أن آكل من  
ثدي أو أقصر بهرضي كما تفعل بمالك لأزود لقيامات  
لا تسوغ بين لهماي والترائب . رحمة أيها الرجل بنفسك  
ثم بنفوسنا . وهل تماقينا لأن أصر نانيط بك . والمرء في دنياه  
إن تنحى عن المسؤولية وتنكبها الى طريق غير شريف  
جديره القبر ان لم يأنف أن يضمه . ثم أجهشت في البكاء  
والرجل أمامها وأنا خارج الدار في صمت وسكون هو مشغل  
بعباً الخطيئة وأنا باهت لما سمعت وكأن عباراتها قدح لزناد  
عينيه فأوريا بالدموع الفزيرة . ثم ارتقى عليها ليقبل يديها أثيم  
يتطلب غفرانا ومسي يتامس احساناً ثم قال والتوبة الصادقة  
تتأرجح في مقاطع كلماته «زوجتي لا تحزني عفوكم أرتجى ورضاكم  
أطلب . ناشدتك الطهور الذي يعلو هامتك تاجه . ووفائك

الذي عزّ على الزوجات مثله . أن تقبلي توبتي وتنفري ذلتي  
وأعاهدك الله أن أجنب اليسر ما عشت حيا ولك بعد اليوم  
نفسى وثاقي ومالي وشبابي ثم أرتج عليه القول ولقد يفهم  
اللسان عن البيان في أشد ما يكون بحاجة اليه الانسان .  
ولو كنت وقتئذ على ملا من الناس لقالوا بمجنون خليق به  
المارستان . فبينما الدموع تجري في أخايدى خدي كان الابتسام  
يزهو على فمي . بكيت للشقاء وابتسمت للتوبة وسرت  
أناجي النفس بجلالة هذا الدرس ومهما قام علماء الأخلاق  
في أرجاء الارض وحلّلوا النفس الانسانية الى دقائق وذرات  
لما استطاعوا أن يردوا هذا المقامر من ذات الصدع الى ذات  
الرجع كما رده زوجته . وما عجبت أن تسلك المرأة بالرجل  
طريق الهداية وتحميه غوائل الفوارة فهي ان شاءت كانت  
ملكاً رحيماً وان شاءت كانت شيطانا رجيماً  
هنا عيت بما شهدت ولقيت فأزمت التفلنل بين  
قصور الاغنياء على أن لم أشار لهم في سكنائها ففي استجلاء  
بهاها . لولا ضجيج يوقر الاذان ويكاد يهدم البنيان فرقت  
كالأخوذ وفاننت قدمي نقلتني من حيث لأدرى الى ميدان

حرب تدوى فيه المدافع به طعن وضرب بكل حياله المدافع  
ولسكني أقدمت اقدام عنتره على الحمام . وتقدمت تقدم  
الظافر الى الامام . فرأيت ثم رأيت ملهى يضحك الشكى  
ثيف وعشرين امرأة بين هزيمة براها الشبق وبادة كالهيمه  
الرائحة وبين حسناء مقبلة وشوهاء مدبرة وناهد كهاب  
كزينب والرباب ودرديس لاج فجر الشيب في ليل شبابها  
ترتجف أجسامهن . وترعد فرائصهن وتقض مضغ عضلهن  
وتصطك أسنانهن وبينهن عازفات نادبات صارخات ممولات  
فعلت لنفسى « بئس سكان الدار أنهن في حفلة زار . مالى  
ولهن . وقد أصبن عس من الجن والحير أزواجهن يتقون  
بما يقطن . علم الله ان المرأة جنية والرجل معتوه وان الدنيا  
دار فتون ولله في خلقه شؤون » وسرت حيناً هرباً لأطربا  
ووصباً لأعجباً وأنا أرفه عن النفس عنائها وأقول ليله ليس أكثر  
من شقائها . والآن أنا حيال ملوك المال في ديارهم وادعين  
على الأرائك متكئين فضة أينما انفضوا وذهب أينما ذهبوا  
وشرفات القصور تكاد تصافع الجوزاء أو توشك ان تقبل  
خدا السماء أينعت بها حدائق فناء ورياض فيحاء وبساتين

أضراء ومروج خضراء كأنها قطع الجنان والزهر يفوح  
عبيره ويمائق صغيرة كبيرة وشستان ما بين سكنى الثرى  
وسكنى الثريا . وبعد ما بين أهل الجنة وبين أهل الدنيا  
وكان بينها قصر كثرت زواره وزادت أنواره وأسمت  
رحابه وانفتحت أبوابه فذكرت حين رؤيته الطفيلين  
وجراتهم وعوات ان انهج شرعهم فدخلت مع الداخلين  
كأنى أحد المدعوين . وهناك في ناحية من فناء القصر  
الحوذى يفازل الوصيفة وهي تمنع كأنها عفيفه إحدى بنات  
الروم خلقت لب وليد الصعيد تسبه برطانه لا تفهم وهو  
يجامشها ولا يتكلم فقلت هذا حال العبد فما حال مولاه .  
وصعدت الدرج وأنا أقول يا الله - في الطابق الأعلى مثل  
الدعارة الأعلى رنت ببعضها الكؤوس ومالت الرؤوس  
وتعاقدت بالأيدي الخصور وازدانت بالقلل النحور رب الدار  
صریح بين نداه وربة الدار في احضان من تهواه وخدام  
تروح وتندو وتختفي ثم تبدو وبايديهم صهباء من اجها سم ومخبتها  
هم فعدت ادراجي من حيث أتيت وانا استغفر الله مما رأيت  
وما سرت قليلا حتى كان القمر قد سطع والسحب قد

انجابت والهزيع الثالث من الليل يعدو غير متثد . في هذه  
السماء التي تجلت الطبيعة في ازهى رداء لها ابصرت نجيين  
في الهوى شجيين بالجوى . فتي تكاملت قوته وكلمت  
قوته وسيم الحيا وضاح الجبين كأنه شقيق البدر وفتاة في  
صياها ريانة بماء الملاحه كأنها اخت الشمس ومن عجب ان  
يتقابل البدر بذكاء على متن القبراء

فالتصقت بالجدار اسمع ولا أرى فاذا به يقول لها  
« احبك بل اعبدك » وهي تقول « احبك بل اعبدك » فكاد  
يدفني الشيطان ان أقول لها « لا تصدقيه انه كاذب » واقول  
له لا تصدقها انها كاذبة » أي هذا الماشقين زين لسكنا الشباب  
الحب والدينا خالية من الحب ولحم احبينا فالتقينا إلا عذاب  
القلب . وضاع الحب عند من جازانا عليه الكرب . ان  
عبدتها يافتى عبتت هي سواك . وان عبدته يا انسانة ازدرى  
بهواك . كلا كما خادع مخدوع . فأقصرنا من التماذي في الرياء  
والا فويل لسكنا ممن في السماء وحدثت نفسي علام الا صقاء  
وحديثها هراء في هراء فسرت بحيث صرت أزاء النيل  
وكانه حين نظرته يسألني ان أوافيه بحديث فقلت

« يا نيل فيك ومع مائك الفضفاض سال تاريخ القرون وبين  
موجاتك انطوت السنون وأنت أنت مُدر الخير على أهل  
المصر . فهل أجد لديك تأويلاً لما رأيت الليلة من احلام  
وتفسيراً لما شاهدت من حال الاقوام » واذا بصوت شجي  
يبعث الشجي لا أعلم مصدره ينشد قصيداً

ر قنعذو بما تُسرُّ نساء	تمنى وفي المني قصر العم
وطريق البقاء هذا الفناء	صحة المرء للسقام طريق
اقتل الداء للنفوس الدواء	بالذي نقتدى نموت ونحيا
ام أم ليس تُعقل الأشياء	ليت شعري حلما تمر بنا الاي
ن فما للنفوس منه أتقاء	من فساد يجنيه للعالم الكو
د فابجادنا علينا بلاه	نحن لو لا الوجود لم نألم الفة
م فقيم الأسي وفيه العناء	وقليلاً ما تصحب المهجة الجد
كيف بالغيب يستبين الخفاء	واذا كان في العيان خلاف
لق بماذا تميز الأنباء	ليت شعري وللبي كل ذي الخ
ق وذا السارح البهيم سواء	موت ذا العالم المفضل بالنط
ض ولا للثقي تبكي السماء	لاغوى لفقده تبسم الار
بدء قوم للآخرين أنتهاء	انما انسى ناكم أثر ماض

---